عام عبر وعام حضر؟!
١٩ كانون الثاني ٢٠٢٣

د. جهاد نعمان

عام غبر بحوادثه وأحداثه، بخيره وشرّه، ببشائره التي غمرت قلوب بعض الناس فرحا، وبمصائبه التي طوّحت ببعضهم الآخر وخصوصا في مجاهلنا!

وعام حضر لا ندري ما يخبئ لنا وللعالم بين طيّاته، أهو الأنين والنواح؟ أم التغريد والصداح؟

عام مضى وانقضى بغثّه وثمينه، بفوضاه واستقراره، بهدوئه وضوضائه، بضحكه ودموعه، بسعادته وشقائه، بجزعه وأمنه.

وعام حلّ لا نعلم من أمره شيئا، أينطوي على بلاء وأرزاء، أم على هناء ورخاء، على هدم وتخريب، أم على بناء وعمران؟ على أمن وسلم، أم على نار وحرب؟

عام طوي عن هذه الدنيا، كما انطوت من قبله أعوام وأعوام، فرقد - كما رقد أمثاله - في زاوية كئيبة حالكة الظلام، بلا حركة أو حياة، كالزهرة الذابلة وكالشمعة الذائبة.

وعام أقبل علينا لا نعلم ماذا يحوّل فيه وماذا يزول، ماذا ينمو وماذا يذبل، ماذا يندثر وماذا يبقى، ماذا يتحقق وماذا يتبدّل.

وهكذا لا يودّع الزمان عاما إلا ليستقبل آخر .

عام يموت شيخا هرما، وآخر يأتي وليدا فتيّا..

عام يحتضر، وعام ينبعث..

ومهما يكن من أمر ذلك الموت والحياة، والاحتضار والانبعاث، علينا أن نتساءل - لاننا نحن الذين يمرون فعلا! -: ماذا يجب أن يكون موقفنا فردا وجماعة عندما نودّع عاما يجود بأنفاسه الأخيرة ونستقبل عاما لا نستشرف فيه أي شيء ذا جدوى لنا والآخرين؟ هل يكفي أن نودّع عامنا الغابر بما تيسّر من أسباب اللهو والسهو والضياع على الموائد الخضراء؟ وهل ترانا ننسى ما آلت إليه الأمور عندنا على الخصوص بسبب جشع التجار والصيارفة والنافذين والمارقين من الدين؟!!

ألا فاتقوا الله، أيها التائهون - وأنتم درجات - وثوبوا الى الصواب، ولا تتمادوا في تلويث مجتمعاتنا القائمة أساسا على أرض نقيّة طاهرة تمثلت فيها روحها في جسد الناصري، وانبثقت فيها الأنوار على النبي العربي وسائر الأنبياء، فاهتدى العالم بها، من مشارق الأرض الى مغاربها.

لعل رهبة الموت والحياة، مع حلول العام الجديد، تجعل «الكبار» قبل »الصغار» يقلعون عن كل منكر، متبعين أقوم السبل، وتحدّ من جشع «حماة» الشعب ونفوس الدول التي تهدّد العالم من أقصاه الى أدناه، بشبح الحرب المخيف والأوبئة المستجدة، و تضفي على الكون أمنا وسلاما وطمأنينة دائمة.

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه